نتائج بيعة الامام الرضا(عليه السلام)

ان هذا العمل السياسي الغريب يعكس ما كان يتوقع له في العراق ، فبدلا من أن يؤدي الى الهدوء اثار الغضب ، اذ احتج جميع العباسيين على اعتزال او تنحي رئيسهم ((قالوا لا تخرج الخلافة من ولد العباس)) وفي بغداد رفضوا اداء البيعة للأمام الرضا وفكروا في خلع المأمون نفسه ((كان اشدهم المنصور وابراهيم ابناء المهدي)) وفعلا تنازعوا في هذا الأمر اثناء خطبة الجمعة (27 ذي الحجة) وتفرق الناس دون صلاة بعد أن نودي بعم المأمون وهو المغني الموسيقي ابراهيم بن المهدي خليفة ولقبوه " بالمبارك " .

وتكمن ابراهيم من الاستيلاء على الكوفة مركز العلويين اذ أن هؤلاء من جانبهم لم يرضوا عن البيعة لعلي بن موسى الرضا بعد المأمون الا أن تكون البيعة للرضا فقط وأستولى كذلك على السواد جميعه ثم اخذ قصر أبن هبيرة بسبب اختلاف بعض قواد الحسن بن سهل وسير ابراهيم جنوده الى واسط حيث كان عسكر الحسن متحصنين ولكنهم انهزموا وفي بغداد نفسها ، قبض ابراهيم على سهل بن سلامة الذي كان يدعو على رأس رجاله الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
((كان قائده عيسى بن محمد بن ابي خالد يسميهم الفساق)) فعاقبه وحبسه وعندئذ عرف المأمون أن بغداد لا تستطيع أن تعيش بدون خليفة ، كما رأى عدم جدوى ولاية الأمام الرضا (عليه السلام) للعهد فقرر أن يعمل شخصيا والظاهر أن وزيره امده بمعلومات خاطئة عن الموقف في العراق . وهذا ما اخبره به الامام الرضا عليه السلام.

وكان هناك خطر جديد يهدده في المشرق فالحركات المعارضة انتشرت في اذربيجان بفضل من يسمى بابك الذي اكتسب كثير من الأتباع ، والذي ربما بلغت قوته الى حد فصل الولايات الشرقية عن الغرب لو قدر لحركته لتسعت الى اكثر من ذلك ، فهم المأمون اذن خطورة الموقف وترك مرو وسار الى بغداد ولحسن حظه تمكن من الخروج من المأزق الذي دبره هو نفسه . ففي الطريق تحدث مأسي اشتهر بها التاريخ العباسي اذ يغتال الفضل بن سهل ، ذو الرئاستين بسرخس بتدبير من الخليفة على ما تدل الظواهر ولما كان اخو الوزير وهو الحسن بن سهل بمنطقة

واسط وكان غريبا بالنسبة للعراقيين ، فأن أهل بغداد بدأوا يهجرون المطالب بالخلافة (ابراهيم بن المهدي) الذي اضطر الى الاختفاء ، بعد أن تسلل قواده الى قواد المأمون وفشل محاولاته للاحتفاظ بمركزه كما اختفى الفضل بن الربيع ثم أنه تحول الى قائد المأمون وسمحوا للمأمون بدخول بغداد .

عودة المأمون الى بغداد :

دخل المأمون بغداد في صفر سنة 204هـ / اغسطس 819 م وبصحبته طاهر بن الحسين الذي كان المأمون قد استدعاه من الرقة (للقدوم عليه بالنهروان) وكان المأمون يتخذ لون العلويين الاخضر شعارا له ، واصبح طاهر رئيس شرطة بغداد ، وعامل خراج السواد ، عمل المأمون على تهدئة العراقيين بأن خفف الاعباء المالية عن أهل السواد بعض الشيء (وهي نفس السياسة المالية التي اتخذها عندما اعتصم بخراسان أول مرة فقد أمر بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف) .

طاهر الى خراسان :

وفي السنة الثانية 205 هـ سار طاهر الى خراسان بأمر الخليفة الذي ولاه على المشرق من مدينة السلام الى اقصى عمل المشرق اذ كانت الاحوال تنذر بالاضطراب والفتنة هناك وبعد قليل من الوقت أصبح السيد الذي لا ينازع للولاية جميعا وولاية طاهر لخراسان بفضل تدبيره هو نفسه ،ذلك صديقه احمد بن أبي خالد (الوزير) اثار شكوك المأمون حول مقدرة والي خراسان غسان بن عباد (ابن عم الحسن بن سهل منافس طاهر) ، فقال : (اخاف أن تخرج فيه خارجة من الترك فتهلكه) وربما كان احمد ابن أبي خالد مغرضا ، فعندما توجه الى خراسان في ايام طلحة بن طاهر ليقوم بأمره وهب له طلحة 3 ألاف درهم عروضا بألفي الف درهم ووهب لأبراهيم بن العباس كاتب احمد 500 ألف درهم وبعد مسير طاهر الى المشرق حل ابنه عبد الله بن طاهر الذي خلفه في قتال نصر بن شبث بالرقة محلة ببغداد كصاحب الشرطة كما ولاه المأمون من الرقة الى مصر وكذلك الجزيرة .

وبعد قليل سيشعر طاهر بقوته حتى أنه في (سنة 207هـ) سمح لنفسه بأهمال ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة ورغم هذا الأهمال والسكوت كان معناه العصيان المكشوف او اعلان الاستقلال عن الخلافة ومع أن الشكوك قالت عن طاهر الذي توفي عقب ذلك مباشرة أنه مات مسموما بتدبير من الخليفة ، الا أن المأمون عين ابنه طلحة واليا لخراسان ويظل احفاد طاهر محتفظين بهذا المركز حوالي قرن ، بينما شغل افراد الاسرة وظائف مهمة في الغرب منها شرطة بغداد . وهكذا فقدت الدولة حقيقة ولايتها الشرقية المتطرفة . كما سبق أن فقدت الولاية الغربية (ولاية الأغالبة) .

حلب والموصل :

ورغم عودة المأمون الى بغداد فأن الولايات المختلفة كانت قد تعودت على الاضطراب وسيؤدي عبد الله بن طاهر خدمات عظيمة للدولة فيما يخص بأدارة الولايات الغربية ، وفي منطقة حلب كان نصر بن شبث وهو تابع الأمين المخلص المتعصب للعرب قد رفض طاعة المأمون وغلب على الجهة ، فأن طاهر قام بمحاولته ، ولكنه لم يستطيع قهره الا سنة 209 هـ / 825 م وسير بابن شبث الى بغداد .

وأنتهز احد العباسيين من اتباع ابراهيم بن المهدي وهو المدعو " ابن عائشة " هذه الفرصة ودبر القيام بانقلاب في العاصمة ، ولكن كشف أمره وكان جزاءه القتل والصلب بعد الضرب والحبس " وهو اول عباسي صلب في الاسلام " وفي نفس هذه السنة (210 هـ) قبض على ابراهيم بن المهدي نفسه (وكان متنقبا في زي امرأة)
ولكنه تمكن من نيل صفح المأمون وعفوه .

أما عن منطقة الموصل فكانت مضطربة كالعهد بها . اذ قامت الحرب بين واليها ابن انس وبين علي بن صدقة المعروف بزريق والي أرمينية واذربيجان وانتهت بقتل ابن انس سنة 211هـ وفي السنة التالية أرسل المأمون احد قواده (محمد بن حميد الطوسي) لحرب بابك وأمره في نفس الوقت أن يصلح أمر الموصل فتمكن من هزيمة زريق وأرسله للخليفة (وأصبح هو واليا للموصل) .

الحالة في مصر :

أما عن مصر فأنها عرفت الاضطراب هي ايضا على عهد المأمون وكان على عبد الله بن طاهر اقامة الأمن وأستباب النظام بها اذ ثار النزاع القديم بين عرب الجنوب وعرب الشمال بمناسبة النزاع بين الأخويين : فأنظم القيسيون للأمين وأخذ الكلبيون جانب المأمون وتحققت وحدة الدولة من جديد ولكن مصر ظلت مضطربة حتى اضطر المأمون نفسه القدوم اليها سنة 216 هـ ففي سنة 210هـ وبعد أن تخلص عبد الله بن طاهر من نصر بن شبث سار نحو مصر وكان قد تغلب عليها عبد الله بن سري تمكن هذا الرجل من مقاومة القائد الذي ارسله عبد الله بن طاهر ولكن عندما توجه ابن طاهر الى العاصمة المصرية انهزم ابن سري ودخل المدينة وأعتصم بها . ولكن ابن طاهر شدد الحصار حتى استسلم وحمل الى بغداد ولكن حدث في نفس الوقت أن دخل من الاندلسيين (15 ألف رجل) الذين نفاهم الحكم صاحب الاندلس الأموي الى الاسكندرية واستولوا عليها وأثاروا الاضطراب من جديد ولكن عبد الله تمكن بعد قليل من ارغامهم على الانسحاب الى جزيرة كريت وتسيير دولاب الادارة من جديد ، سيظل الأندلسيون بكريت حتى يطردهم البيزنطيون منها سنة 916 م)

وعاد عبد الله بن طاهر الى بغداد فأستقبله المأمون وأهل المدينة استقبال الفاتحين وبعد موت اخيه طلحة سنة 213هـ تمكن من وضع يده على ممتلكات الطاهريين الوراثية في خراسان (قيل أنه ولي خراسان بعد ابيه ولكنه عهد بها الى اخيه طلحة) وقام ولي العهد أبو اسحق المعتصم بأمرة مصر ولكنه أظهر عدم الكفاءة اذ وثبت العصبيات العربية من قيسية ويمنية بواليه وقتلوه (ربيع الأول 214هـ) فأضطر الى السير بنفسه وقتال الثوار وقمعهم بالقوة ولكن الاضطرابات عادت من جديد (واشرك القبط في الثورة) حتى أضطر المأمون نفسه الى السير من دمشق الى مصر في أواخر سنة 216هـ كما قدم القائد التركي الافشين اليها من برقة واقام المأمون بمصر سنة 217هـ حتى هدأت الاحوال (اذ ظفر الافشين بأهل الثورة وقتل عبدوس الفهري الذي كان قد وثب بعمال المعتصم) .

وعن اليمن فقد قامت بها ثورة علوية ، فرغم المعاملة الخاصة التي حبى المأمون بها الطالبيين ، دعا عبد الرحمن بن احمد العلوي لنفسه بالخلافة هناك سنة 207هـ
(للرضا من آل محمد) منتهزا تذمر أهل البلاد من العمال ولكن ما أن وجه المأمون احد قواده (دينار بن عبد الله) الى هناك وخير الطالبي بين أمان الخليفة والحرب حتى أعلن الثائر الطاعة فاقتيد الى المأمون .

وكان لهذه الثورة أثرها في نفس المأمون فأمر بمنع الطالبين من الدخول عليه ، كما منعهم من ارتداء لونهم الاخضر وأمرهم بلبس السواد فهو عندما تصله الشائعات عن ميل عبد الله بن طاهر الى العلويين لا يتورع عن أن يدس عليه رجلا يتظاهر بالدعوة للعلويين حتى يتأكد من صحة رأيه في ابن طاهر .

ولكن لم يكن هذا تغييرا جوهريا في سياسته فهو دائم العطف عليهم والمحاباة لهم يفعل ذلك طبعا لا تكلفا كما تقول النصوص فهو في نفس السنة 211هـ ينادي بالحط
من شأن معاوية – عدو الأمام علي اللدود – ويلعن من ذكره بخير او فضله على احد اصحاب النبي وفي السنة لتالية 212هـ يعلن تفضيل علي بن أبي طالب (عليه السلام) على جميع الصحابة وكما أنه قبل أن يموت في وصيته لاخيه المعتصم أكد على احسان صحبة بني عمه اولاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

الأمام الجواد (عليه السلام) والمأمون العباسي :

ولد الأمام (عليه السلام) عام 195 أي في السنة التي بويع فيها للمأمون العباسي وعاش في ظل ابيه الرضا (عليه السلام) حوالي سبع سنين ، وعاصر احداث البيعة بولاية العهد لابيه الرضا (عليه السلام) وما صاحبها وتلاها من حوادث ومحن حتى تجلت أخر محن ابيه (عليه السلام) في اغتيال المأمون للرضا (عليه السلام) .

وبقي الأمام الجواد (عليه السلام) بعد حادث استشهاد ابيه (عليه السلام) في منعة من كيد المأمون الذي قتل الأمام الرضا (عليه السلام) وبقي عند الناس متهما بذلك لكنه لم ينجح من محاولات التسقيط لشخصيته ومكانته المرموقة والسامية في القلوب وقد تحدى كل تلك المحاولات اعلاء لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم في عقيدة الأمامة والزعامة وما يترتب عليها من الأثار السياسية والاجتماعية .

وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر (عليه السلام) لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والادب وكمال العقل ما لم يساوه فيه احد من مشايخ أهل الزمان فزوجه ابنته ام الفضل وحملها معه الى المدينة وكان متوافرا على اكرامه وتعظيمه واجلال قدره.

لما أراد المأمون أن يزوج ابنته ام الفضل أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع الرضا (عليه السلام) فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الادنون فقالوا له : ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا (عليه السلام) فأنا أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله وينزع منا عز قد البسناه الله وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء قديما وحديثا وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك .

دوافع تزويج الأمام الجواد (عليه السلام) من أم الفضل :

1- أن يضع الأمام تحت سيطرته ومراقبته ويعرف جميع تحركاته .
2- أراد من هذا الزواج أن يربط الأمام بالبلاط العباسي .
3- أراد المأمون أن يضع حدا للثورات العلوية التي تظهر بين فترة وأخرى .
4- خداع الناس ، فقد كان يقول المأمون (أني) احببت اكون جدا لأمرئ ولده رسول الله وعلي ابن أبي طالب .

بداية بابك الخرمي :

ان الاضطرابات التي حلت بمختلف الولايات لم يكن لها خطورة الحركة الخطيرة التي تراسها بابك باذربيجان . هذه الحركة التي ظهرت سنة 192هـ في اواخر ايام الرشيد ، بدأها رجل اسمه جايدان بن سهل وستظل تقوى وتشتد طيلة عهدي الأمين والمأمون حتى تصبح خطرا داهما على عهد المعتصم الذي سيتمكن بفضل القواد الترك من التغلب على الثوار ولا شك في أن الأنقسام الذي أضعف الدولة ايام الأمين والاضطرابات التي تلت موته كان من الاسباب التي مكنت الثوار من الاعتصام بجهتهم ومقاومة الحملات الضعيفة التي كانت توجهها لهم الحكومة المركزية والحقيقة أنه لو قدر للرشيد أن يعيش

بعض الوقت لقضى على الحركة في مهدها اذ أنه في نفس السنة التي بدأت فيها الحركة (192هـ) وجه اليهم قائدا على رأس (10 ألاف رجل) فنكل بهم وكان الرشيد حازما ازاء الثوار فأمر بقتل اسراهم وبيع سباياهم وظلت الحركة ضعيفة حتى سنة 201 هـ حين ظهر على رأسها رجل صعب المراس هو بابك الخرمي الذي أظهر الى جانب كونه داعيا سياسيا ودينيا كفاءة عسكرية ممتازة فدوخ الجيوش تلو الجيوش.

ففي سنة 204هـ كانت الحرب سجالا بينه وبين قائد الخليفة يحيى بن معاذ وفي سنة 206 هـ هزم عيسى بن محمد بن أبي خالد ، وفي سنة 209 هـ ولى المأمون زريق وهو علي بن صدقة على أرمينية واذربيجان وأمره بحرب بابك ، ولكن هذا اكتفى بأن اثار الاضطراب في الموصل والجزيرة كما رأينا وأرسل المأمون قائدا اخر هو (محمد بن حميد) فتك بزريق وتوجه الى اذربيجان لملاقاة بابك وتوغل ابن حميد في البلاد الجبلية نحو معاقل الثوار متخذا الحيطة في سلوك الدروب والمفاوز وحراستها ، ولكن فاجأته قوات بابك في مضايق الجبال من كل وجه فأنهزم الجيش وقتل ابن حميد وظل الثائر معتصما بجبال اذربيجان حتى وفاة المأمون سنة 218 هـ .

الى جانب الثورة المسلحة هذه ، عرف مركز الدولة حركة دينية اشبه ما تكون بحركة الزنادقة على عهد المهدي ، وهي التي نسميها بمحنة القرآن ، اذ أهتم المأمون بالمسائل الدينية . وتدخل في جدل بين المعتزلة وأهل السنة . مع أن العامة لم تهتم كثيرا بمسألة القضاء والقدر الا أنها اهتمت اهتماما بالغا بمشكلة خلق القرآن ، اذ اعتنق المأمون رأي المعتزلة في أن القرآن مخلوق وأظهر ذلك سنة 212 هـ وبدأ يجبر القضاة والفقهاء والائمة على اعلان " خلق القرآن " وأتخذ اجراءات شديدة ضد من لم يعتنق هذه الفكرة فترك الاستعانة به وربما ذهب الى ابعد من ذلك فعاقبه .

وكان الهدف من هذه الفكرة مزدوجا كماضي العادة فالخليفة الى جانب اهتمامه بالحياة الروحية لشعبه ورغبته في شغل رعيته بهذه المسائل واكتساب محبة الرعية ايضا ، كان يعمل على أن تكون هذه المشكلة الدينية وسيلة لان يتلخص من اعدائه السياسيين ممن لا يدينون بهذه الفكرة ، وعرف المأمون كيف يربط بين الجهاد في سبيل الله ضد بيزنطة وبين هذه الحركة الدينية . فهو يهتم بها اهتماما جديا في اواخر ايامه أثناء وجوده سنة 218هـ في ثغور الروم ، تماما كما حدث ايام المهدي من اهتمامه بأمر الزنادقة اثناء توجهه لحرب الروم فهو يكتب الى بغداد في امتحان الفقهاء والقضاة وطلب أرسال بعضهم اليه ليمتحنهم شخصيا.

ومن المهم متابعة استجواب هؤلاء الاشخاص المهرة الذين يبحثون عن اجوبة لا تجرح ضمائرهم ولا تضر بمبادئهم فعندما سئل بشر بن الوليد عن رأيه في القرآن قال : قد عرف مقالتي أمير المؤمنين غير مرة فلما قيل له قد تجدد كتاب أمير المؤمنين قال : اقول القرآن كلام الله ، وعندما رد عليه بأنه لم يسأل عن هذا وأنما المطلوب معرفة ماذا

كان القرآن مخلوقا قال : الله خلق كل شيء " قيل له " فما القرآن شيء فقال " نعم " قيل له فمخلوق هو قال " ليس بخالق " .
ولما سئل احمد بن حنبل ما تقوله في القرآن قال كلام الله قيل له " مخلوق هو " قال : كلام الله ما ازيد عليها ، فامتحن .

وكتب اسحق بن ابراهيم (الممتحن – خليفة المأمون ببغداد) مقالات القوم واحدا واحدا وارسلها الى المأمون فأجاب بأن ذمهم ولكنه كتب اليه أن يمتحن بشر بن الوليد وابراهيم بن المهدي (المدعي الخلافة ببغداد سابقا) وأمره أن يضرب عنقهما أن لم يجيبا أما عن سواهما فيحملون الى معسكره موثقين بالحديد وفعلا شد احمد بن حنبل في الحديد ومعه اخر (محمد بن نوح) ووجها الى طرطوس في انتظار عودة المأمون من أرض بيزنطة الا أن خبر موت المأمون وصلهم وهم بالرقة ، فعادوا الى بغداد .

الحرب مع الروم :

أما عن سياسة المأمون ازاء بيزنطة فرغم أنه لم يكن معتادا قيادة الحملات العسكرية شخصيا الا أنه اضطر في اخر ايامه الى القيام بالعمليات الحربية بنفسه ضد امبراطورية القسطنطينة . فبعد انقطاع الغارات الاسلامية بمناسبة الصراع بين الأمين والمأمون ربما كانت مساعدة البيزنطيين لبابك الذي ظل دائما يرفع راية العصيان باذربيجان والذي ازداد خطره اخيرا سببا في أن يقوم بغارة كبيرة على اسيا الصغرى سنة 215هـ / 830 م وخلال ثلاثة سنوات متتابعة استمر الخليفة في الاشتراك في الصوائف ، ففي أول سنة 215هـ توجه على رأس حملة كبيرة الى ثغور الروم وأستصحب معه ابنه العباس كما استدعا اخاه المعتصم من مصر وألتقى به قرب الموصل ، ومن الموصل أتجه الى منبج ثم دابق ثم انطاكيا ثم المصيصة وطرطوس ومن طرطوس دخل الى الأراضي البيزنطية في جمادي الأولى ، وهذه الغارة عمت الكثير من نواحي اسيا الصغرى . فالعباس دخل من جهت ملطيا يخرب ويدمر وفتح المأمون حصن ماجدة بالأمان ثم حصن قرة بالقوة وهدمه ، ووجه القائد التركي اشناس الى حصن سندس وجه قائدين اخرين الى حصن سنان فخضعا قائدا الحصنين لشروط المسلمين وعندما حل الشتاء عاد المأمون الى الشام ولما تحسنت الاحوال الجوية في السنة التالية 216هـ رجع المأمون الى ارض الاعداء لقيام الامبراطور البيزنطي ضد طرطوس والمصيصة وتمكن المسلمون من الاستيلاء على عدد كبير من الحصون (30 حصنا افتتحها المعتصم) لا سيما هرقلة التي خرج اهلها عنها بعد أن اخذوا الأمان وكذلك مطمورة وقد استمرت الصائفة اربعة اشهر ثم عاد المأمون من جديد الى الشام وفي سنة 217هـ حاصر الخليفة اكبر الحصون

البيزنطية على الحدود وهو حصن لؤلؤة طوال الصيف تقريبا (100 يوم) ثم رحل عنه تاركا احد قواده (عجيف) على حصاره واضطر الباسليوس تيوفيل .
الى طلب السلم بعد سقوط الحصن صلحا (ارسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك) .

وفي سنة 218هـ سيعود المأمون الى أرض ثغور الروم ويوجه ابنه العباس الى طوانه ليحصنها بالحاميات ، وتم بناء الحصن فعلا وأرسل الى البلدان في طلب المقاتلة للحصن وأجرى لهم العطاء السخي (الفارس 100 درهم والراجل 40 درهما) ولو أن هذا لم يتم ففي هذه الاثناء عرض للمأمون مرضه الذي مات فيه اذ فاجأته المنية قرب طرطوس حيث دفن .